تدخل المرابطين في إيقاف الغزو المسيحي في الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين

الدكتور/عبد الله حاتم خالد المخلافي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بقسم التاريخ–كلية الآداب–جامعة تعز

ملخص البحث

قامت دولة المرابطين في بلاد المغرب، واستطاع يوسف بن تاشفين أن يوحد تلك القبائل المتناحرة فيما بينها، وأن يجعل منها دولة قوية ومتماسكة، وقام ببناء جيش يستطيع التغلب على جيوش دول متقدمة.

وفي الجانب الآخر، وهي بلاد الأندلس، كان ملوك الطوائف يعيشون في تمزق واقتتال فيما بينهم، وهذا الأمر مكن ملك قشتالة الفونسو السادس من فرض الجزية عليهم والاستيلاء على بعض الحصون والمدن، هذا الأمر دفع بملوك الطوائف في الأندلس الاستنجاد بيوسف بن تاشفين.

وافق يوسف بن تاشفين وعبر إلى بلاد الأندلس بجيش من المرابطين، وتمكن يوسف بن تاشفين من هزيمة جيش الفونسو السادس في معركة الزلاقة، وعمت فرحة الانتصار بلاد الأندلس وبلاد المغرب، ثم عاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب، ومالبث أن عاد إلى بلاد الأندلس بسبب غارات الجيش النصراني على مدن الأندلس، وتناحر ملوك الطوائف فيما بينهم، ثم عاد إلى المغرب، وجهز جيشاً إلى الأندلس وقام بضم بلاد الأندلس إلى دولة المرابطين، ثم كان عبوره الرابع والأخير اذ قام بتفقد أحوال

الأندلس وإدارة شؤونها، وترك جيشاً قسّمه على مدن الأندلس والثغور، ثم عهد إلى ابنه علي بولاية العهد، ثم عاد إلى مراكش وتوفى هناك.

فكيف تمكن من توحيد بلاد المغرب وجعلها دولة قوية وبناء جيش قوي صاحب عقيدة قتالية جهادية؟ وما الأسباب والدوافع التي دعته إلى ضم الأندلس إلى دولة المرابطين في المغرب؟ وكيف أعاد الوجود الإسلامي القوي واوقف التمدد النصراني إلى الأندلس.؟

كل تلك الأمور وغيرها سوف نقوم بالتعرف عليها من استعراض حياة يوسف بن تاشفين القتالية حتى وفاته.

المرابطين

ثمة غموض ما يحيط بأخبار الدولة المرابطية وقيامها في المغرب الأقصى، فالمصادر قليلة في هذا الجانب، ولكن المتواتر أن المرابطين ينتمون إلى لمتونة[١] أحد فروع القبيلة الكبرى صنهاجة[٢] البربرية[٣].

والواقع أننا غير معنيين هنا بالتفاصيل الواسعة التي رافقت قيام هذه الدعوة(الدولة) وتوحيدها للمغرب الأقصى، بعد سلسة من المواقع والصراعات القبلية، حيث الهدف من هذه الدراسة هو تتبع دور المرابطين في الأندلس[٤] ومن قام به من القادة المرابطين والقيام بالتعرف على هذا القائد.

هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن وارتقين، وكنيته أبو يعقوب، عاش ما بين عامي(٤٠٠- ٥٠٠هـ / ١٠٠٩- ١١٠٦م)، وتوفي عن عمر يقارب المائة، وتزوج عدد من النساء[٥] وُلِدَ على الأرجح بصحراء موريتانيا، ونشأ في موريتانيا نشأة إيمانية جهادية،، ينتمي يوسف بن تاشفين إلى قبيلة لمتونة وهي إحدى قبائل صنهاجة الموجودة بجبل لمتونة المشهور باسم أدرار بموريتانيا، ينسب يوسف بن تاشفين إلى

العروق النبيلة من أحرار بنى ورتاق، وهو شريف أيضا من ناحية أمه الحرة، فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن وارتقين، بنت عم أبيه(٦).

وفيما يتعلق بصفات يوسف بن تاشفين الجسمية فيوسف ذو بشرة سمراء نقية اللون، الأمر الذى يعنى نسبة لا بأس بها من الدماء السوداء التى تجري في عروقه، كما كان ابن تاشفين كثير العفو، مقرباً للعلماء، وكان أسمر نحيفاً، خفيف اللحية، دقيق الصوت، سائساً، حازماً(٧)، و تلقى يوسف تعاليمه الأولى في قلب الصحراء من أفواه المحدثين والوعاظ.

أما عن طعامه وشرابه فهو الذى اعتاد عليه أهل الصحراء، مما لا يزيد عما يتبلغ به من القوت الضرورى، من خبز الشعير والذرة، ولحوم الإبل وألبانها، لا يتركها، إلى غيرها طول حياته، في بوادى افريقية(٨) أو في حواضر الأندلس. كذلك الأمر بالنسبة لملابسه فقد كان يوسف يكتفى بارتداء ثياب الصوف(٩) الخشنة ـ ملابس الصوفية العباد ــ لا يزيد عليها مع الاحتزام في أوقات العمل.

أما عن صفاته المعنوية وأخلاقه، وهى التى هيأته لتقلد سدة الحكم والرياسة فتتمثل في قوة التدين، وكرم الأخلاق(الفضل) والورع والعدل، والشجاعة والنجدة وسداد الرأى والحزم(١٠) .

كان يجمع بين جمال الطلعة وجمال الجسم وبين إبداع المواهب. كان بطلاً شجاعاً نجداً حاذقاً جواداً كريماً زاهداً في زينة الدنيا عادلاً متورعاً متقشفاً(١١).

كانت تسكن جسده نفس معتدلة وعاطفة وقادة وفكر نافذ، ثم وانته، الأحداث فشحذت مواهبه واحتك بمستويات حضارية تتراوح بين أهل الصحراء وأهل الاندلس، فكان له تقييم صادق لكل منهما، وخاض حروباً لا عهد له ببعضها فبرهن عن حسن تفهم وابتكار، وكانت شهامته وشغفه بالحرب يصبغان عليه خلال الفروسية، واحتقاره لمظاهر الترف تكسبه محبة شعبه وتقوي في نفوسهم عواطف التوقير والشرف(١٢).

مرحلة قيادة الجيش المرابطي ٤٤٨ــ ٤٥٢هـ /١٠٥٦ــ ١٠٦٠م:

في هذه المرحلة لم يكن يوسف أميراً بل مجرد قائد عسكري يعمل تحت إمرة ابن عمه أبي بكر ابن عمر[١٣]، فلم يكن يوسف يملك السلطة[١٤] ـ بل ينفذ تعليمات غيره من الأمراء، ولكنها كانت مرحلة غنية بالتجارب شحذت ذهنه وأهلته للمرحلة التالية، استطاع بعدها تسلم الإمارة والقيام بالأعباء الملقاة عليه بكل همة ونشاط دون تردد وقاد المرابطين إلى النصر في ميادين الكفاح.

وتألق نجم يوسف في معركة الواحات[١٥]عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م التي خاضها، فقد كان قائداً لمقدمة جيش المرابطين المهاجم[١٦]، وبعد فتح مدينة سجلماسة[١٧] عينه الأمير أبو بكر والياً عليها فأظهر مهارة إدارية في تنظيمها[١٨] ثم سار يوسف إلى بلاد السوس[١٩] وفتحها.

ثم جاء دور اغمات[٢٠] حيث تلقى يوسف التعليمات من الأمير أبي بكر بمهاجمتها فحاصرها ولما رأى أميرها أن لا جدوى من المقاومة فر منها. ودخل المرابطون المدينة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٢١] ثم هاجم يوسف بعض المدن وقام بفتحها.

مرحلة نيابة يوسف على المغرب ٤٥٢ــ٤٥٤هـ /١٠٦٠ــ ١٠٦٢م :

بعد أن ابتعد المرابطون عن موطنهم الأول، فرضت الظروف الجديدة عليهم بأن يكون للصحراء جندها، وللحضر جنده خاصة، بعد وصول أخبار تشير إلى اختلال أمر الصحراء[٢٢] ، فاختار أبو بكر حلاً لهذه المشكلة، وخص نفسه بالمجال الصحراوي وترك الشمال لابن عمه يوسف بن تاشفين فأنابه[٢٣] عنه وأمره بمتابعة الجهاد بعد أن ترك له ثلث الجيش المرابطي[٢٤].

وبتسلم يوسف الأمر في المغرب سار لتحقيق المهمة التي ندبه إليها الأمير أبو بكر، واستعرض جيشه، وقد بلغ أربعين الفاً، فقسمه الى أربعة أقسام [٢٥] واختار لكل قسم قائداً من أشهر القادة[٢٦].

زحف يوسف نحو المغرب الأوسط فتغلب على أكثر مناطقه، وهرعت سائر القبائل إلى الاستسلام والطاعة. وخلال مدة لا تتجاوز بضعة أشهر بسط يوسف سلطانه على المغرب الأوسط والجنوبي، وعاد إلى أغمات عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م[٢٧] وبدأ بإنشاء مدينة مراكش[٢٨] سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م[٢٩] وأخذها عاصمة لدولته.

في هذه الأثناء استقام أمر الصحراء وقضى الأمير أبو بكر بن عمر على الخلاف، ودفن الفتنة في مهدها، وأصلح شؤون السكان، ترامت إليه أخبار ابن عمه يوسف وما فتح الله عليه من البلاد، وعاد ليعزله ويولي غيره،[٣٠] ونزل خارج أغمات.

شعر يوسف بدقة الموقف وحرجه، اذ لا يمكنه أن يتمرد على إمامه وأميره الشرعي أبي بكر لأنه شديد التدين، وكذلك لا يمكنه أن يتخلى بسهولة عما في يده من الملك. وهنا برز دور زوجه زينب بنت اسحاق، فقد شاورها في الأمر، وكان رأيها[٣١] أن يظهر له الغلظة وكأنه مساو له، ومقاوم وأن يلاطفه بالهدايا والأموال والخلع والثياب، لأن ذلك مستطرف في الصحراء القاحلة ومرغوب فيه. وفي هذه الأثناء تسارع أصحاب الأمير أبي بكر للسلام على يوسف الذي استغل هذه المبادرة وأحس بالزعامة، فاستقبلهم بالترحاب وأغدق عليهم الأموال والهدايا الفاخرة فكسب ودهم واستمالهم [٣٢] وبذلك قوى مركزه بالتقرب من جنود ابن عمه، وأعلن تمرده عند أول مقابلة بينهما، فتلقى يوسف ابن عمه الأمير أبي بكر بمظاهر السلطنة وسلم عليه راكباً ولم يترجل كعادته يحيط به حرسه الخاص[٣٣] وجيشه الجرار مما أدخل الرعب في قلب الأمير أبي بكر خاصة عندما جاءه جواب يوسف بأنه يستعين بهذه القوات على من يخالفه[٣٤]، ومع ذلك لم يشأ يوسف أن يقطع الصلة نهائياً مع ابن عمه الأمير أبي بكر إذ قدم إليه هدية ثمينة جداً[٣٥] قبلها الأمير شاكراً بعد أن أدرك أن يوسف لن يتخلى له عن الامر بسهولة وإذا حدث صراع بينهما

فإن الدولة الناشئة ستنتهي قبل أن تبصر النور، فجمع الأمير أبو بكر شيوخ المرابطين من لمتونة وأعيان الدولة، والكتاب والشهود وأشهدهم على نفسه بالتخلي ليوسف عن الإمارة،[٣٦] وقد علل الأمير أبو بكر هذا التنازل لابن عمه يوسف لدينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيبته[٣٧] وأوصاه الوصية التالية" يايوسف إني قد وليتك هذا الأمر وأني مسؤول عنه فاتق الله في المسلمين وأعتقني وأعتق نفسك من النار ولا يضيع من أمور رعيتك شيئاً فإنك مسؤول عنهم، والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم "[٣٨] وانصرف الأمير أبو بكر بعد ذلك إلى الصحراء وبقي يجاهد حتى استشهد عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م[٣٩].

مرحلة الإمارة ٤٥٤ــ ٥٠٠هـ /١٠٦٢ــ ١١٠٦م:

فتح المغرب الأقصى الشمالي ٤٥٤ــ ٤٧٧هـ /١٠٦٢ـــ ١٠٨٤م:

بعد أن تنازل الأمير أبو بكر بن عمر ليوسف بن تاشفين عن الإمارة، واطمان يوسف أن لامنافس له من الوجهة الشرعية، إذ أصبح أمير المرابطين بلا منازع قام بعدد من العمليات العسكرية على المغرب الشمالي[٤٠].

االعمليات العسكرية:

قام يوسف بن تاشفين فحاصر مدينة فاس[٤١] ودخلها صلحاً عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م. وهذا هو الفتح الأول[٤٢] وتابع الحرب حتى تم له فتح جميع البلاد من الريف إلى طنجة[٤٣] عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م[٤٤]، وبعد أن تم ليوسف فتح البلاد المحيطة بفاس نزل عليها بجيش بلغ مائة الف جندي وضرب عليها الحصار حتى دخلها عنوة بالسيف دون قيد أو شرط في عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م[٤٥] ثم نظم المدينة من جديد فأمر بهدم الأسوار التي تفصل بين العدوتين[٤٦] وجعلها مصراً واحداً ومن ثم أدار عليها الأسوار، ثم أعاد تخطيطها وبني المساجد في أنحائها، كما بني الفنادق والحمامات وأصلح الأسواق[٤٧]، وأقام فيها حتى عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م[٤٨].

لقب الإمارة:

وفي هذه الأثناء استدعى يوسف أمراء المغرب وشيوخ القبائل لمبايعته فبايعوه بالإمارة [٤٩] فكساهم، وأغدق عليهم الأموال، وأكثر لهم العطاء، ثم خرج يحيطون به للطواف على بلاد المغرب، وتفقد أحوال الرعية[٥٠] وكان يوسف يقصد من وراء ذلك إضفاء صفة الشرعية على فتوحاته وإن زعماء المغرب يؤيدونه ويعترفون بزعامته، كما أن الطواف ـ بصحبة أمراء المغرب وحكامه السابقين الذين قاوموه طويلاً وبذل جهوداً جبارة حتى أخضعهم ـ يبعث الرهبة في نفوس الذين لم يخضعوا حتى ذلك الوقت.

ويعد عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م فاصلاً في تاريخ الدولة المرابطية، إذ بسط يوسف بن تاشفين نفوذه على سائر المغرب الأقصى والشمالي باستثناء طنجة[٥١] وسبتة[٥٢]، ووزع عماله على بلاد المغرب[٥٣]، إلا أن يوسف استطاع الاستيلاء على طنجة على يد أحد قادته وذلك عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[٥٤]، كما ضرب يوسف الحصار على مدينة تلمسان[٥٥] وكانت عاصمة المغرب الأوسط حتى استسلمت له عام ٤٧٤هـ/١٠٨٠م[٥٦].

بعد أن اطمأن الأمير يوسف إلى حدوده الشرقية وقضى على آخر جيوب المقاومة، عاد إلى مراكش عام ٤٧٥هـ/١٠٨١م،[٥٧] وهو يفتخر بأنه حمل لواء المرابطين منذ انطلاقهم من الرباط منذ ثلاثين سنة وقادهم إلى النصر وحقق وحدة المغرب بعد أن عجز عن تحقيقها قادة الفتح الأوائل وكذلك قبلهم الرومان والوندال ونعم المغرب لأول مرة بوحدته السياسية.

وفي العام ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م وجه الأمير يوسف ابنه المعز في جيش إلى سبته لفتحها إذ كانت المدينة الوحيدة التي لم تخضع له، فحاصرها المعز براً وبحراً ودارت معركة بحرية[٥٨] كانت سجالاً بين الفريقين إلى أن أرسل المعتمد بن عباد سفن ضخمة

رجحت كفة المعركة لصالح المرابطين وألقى القبض على والى المدينة وأرسل إلى المعز الذي قتله وكتب بالفتح إلى والده وذلك في ربيع الاخر سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م[٥٩].

وبذلك أصبحت بلاد المغرب بكاملها تحت سلطة يوسف بن تاشفين. وكان له الفضل في توحيد المسلمين في بلاد المغرب.
ويعد يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقى لدولة المرابطين، لأنه هوالذى وطد أركانها وأعطاها كياناً دولياً ثابتاً[٦٠].

وفي مدة حكمه قام يوسف بن تاشفين بسلسلة من الأعمال الداخلية والخارجية لتدعيم دولته الناشئة، وتنظيم شؤونها، وإخراجها إلى حد كبير من طور البداوة التي [٦١] كانت تعيش فيه من أمثلة ذلك.

وبنى أسطولاً بحريا ساعده في احتلال الثغور الشمالية المطلة على مضيق جبل طارق[٦٢]. كما عمل على ضم المغرب الأوسط وتوحيده مع المغرب الأقصى. وهكذا اصبح يوسف بن تاشفين سيداً على المغربين الأوسط واالأقصى والصحراء.

الصراع بين ملوك الطوائف في الاندلس:

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م قامت في كل مدينة دويلة، وقد تكونت بعد معركة دامية بين الأحزاب ثلاثة عشر دويلة[٦٣] سميت بدول الطوائف تناحرت فيما بينها وعرف حكامها بملوك الطوائف، وأصبحت هذه الدويلات لاحول لها ولاقوة مما شجع النصارى على توجيه ضربات إلى المسلمين، وقد شنوا حرباً لا هوادة فيها نابعة من شعورهم العدائي للمسلمين تهدف إلى طردهم من الأندلس، ومع ذلك لم يهتم حكامها بما يجري حولهم وظلوا منغمسين بملذاتهم وفسادهم يتحاربون ويحالفون النصارى ضد إخوانهم ويؤدون لهم الجزية [٦٤] مقابل الاحتفاظ بعروشهم التي تهتز تحتهم ويستخدمون مرتزقة النصارى لحماية أنفسهم بعد أن فقدوا الأمل بمواطنيهم[٦٥].

الفونسو السادس وفرض الجزية على ممالك الأندلس وفرض السيطرة على بعض مدنها:

وفي هذه الاثناء ارتقى عرش قشتالة النصرانية الفونسو السادسAIFOnSO VI (٥٠٢-٤٥٨هـ/١٠٦٥- ١١٠٩م) الذي كان يرغب باحتلال الجزيرة، وقد بدأ أعماله الحربية بمدينة طليطلة[٦٦] فحاصرها مدة سبع سنوات حتى سقطت بيده في مستهل صفر سنة ٤٧٨هـ /٢٥مايو ١٠٨٥م[٦٧] وقد أحدث سقوطها دوياً هائلاً في العالم الإسلامي وبات المسلمون في حال من الضياع التام[٦٨] لايعرفون كيف يتصرفون وبدأوا بمغادرة المناطق المتاخمة للفونسو.

واقفرت مملكة طليطلة من السكان الذين هجروها جماعات إلى بطليوس[٦٩]هرباً من الاضطهاد وحفاظاً على دينهم، وشعر الفونسو بأنه أضحى قادراً على تحدي دول الطوائف جميعاً والقضاء عليها، فغير من خطته السابقة التي كانت تقوم على أخذ الأموال إلى محاولة الاستيلاء على الحصون والمدن[٧٠]، فقد رأى أن زمام الأندلس قد صار في كفه، ولاح له أن نهاية الطوائف قد دنت وإنه سوف يتبع نصراً بنصر[٧١]. بدأ بالضغط على الدول الكبرى المجاورة له أي مملكتي بطليوس وإشبيلية[٧٢]، فقد أرسل إلى المتوكل بن الأفطس حاكم بطليوس يطلب إليه تسليم بعض الحصون والقلاع المتاخمة لحدوده مع تأدية الجزية ويتوعده بشر العواقب إذا رفض، ولكن المتوكل لم يكن عند حسن ظنه فقد رفض التهديد ورد عليه برسالة تفيض شجاعة ونبلاً [٧٣].

ثم وجه الفونسو اهتمامه نحو المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية وقرطبة[٧٤]، فقد كان أقوى ملوك الطوائف، وكان منتظراً منه أن يقوم بمهمة حماية الأندلس، ولكنه لم يفعل ذلك، بل قضى معظم أيامه بصراعات داخلية أضعفت المسلمين، وكان المعتمد يتعامل مع العدو معتمداً على المهارة الدبلوماسية ـ كسائر ملوك الطوائف ـ ودفع أذاه بالجزية[٧٥] وقد كتب إلى الفونسو ألايتعدى حدود طليطلة ويبدو أن الفونسو حينما اختار مملكة المعتمد كان يهدف إلى ضرب القوة الرئيسة لدى المسلمين وبعد ذلك يتمكن بكل

سهولة من إخضاع باقي الدويلات الإسلامية، خاصة وإنها أضعف من أن تقاوم وأكثرها يدور في فلكه، ومع ذلك فقد راعى شروط المعاهدة المعقودة مع المعتمد، فلم يهاجمه مباشرة بل طلب منه أموراً مستحيلة التنفيذ، فسأله أن يتخلى له عن معاقل وحصون على الحدود كان الموت عنده أولى من إعطائها[٧٦] وإمعاناً في الإذلال والتجني طلب منه السماح له بإدخال امرأته إلى جامع قرطبة لتلد فيه بناءً على نصيحة الأساقفة، لأن الطرف الغربي منه كان موضع كنيسة قوطية قديمة، وسأله أن تنزل بالزهراء[٧٧] مدينة الخليفة الناصر لتكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيله موضع الكنيسة الموصوف[٧٨]، وأرسل إليه بعثة من خمسمائة فارس برئاسة اليهودي ابن شالب لأخذ الجزية. وتجرأ السفير وخرج على اللياقات الدبلوماسية وأغلظ في القول للمعتمد فما كان من المعتمد وقد أخذته العزة العربية إلا أن أمر بقتل البعثة وصلب اليهودي[٧٩].

وقد أثار هذا التصرف حفيظة الفونسو وكان متجهاً لحصار قرطبة[٨٠] فعدل عن ذلك" وأقسم بآلهته ليغزون المعتمد بإشبيلية"[٨١]، وجهز جيشين جعل أحدهما بيد أحد قواده وأمره بالمسير على كورة باجة[٨٢] غرب الأندلس لتخريب تلك التخوم حتى إشبيلية، وزحف هو بالجيش الآخر وسلك طريقاً مغايراً، فخرب ودمر في طريقه حتى وصل إلى طريف[٨٣] ـ أقصى جنوب الأندلس على المضيق ـ وأدخل قوائم فرسه في البحر قائلاً "هذا آخر بلاد الأندلس قد وطأته"[٨٤].

ومن هناك أرسل إلى الأمير يوسف بن تاشفين خطاباً جاء فيه[٨٥] " من أمير الملتين[٨٦] بن برهذة إلى يوسف بن تاشفين.أما بعد فلا خفاء على ذي عينين أنك أمير المسلمين بل الملة الإسلامية كما أنا أمير الملة النصرانية، ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التخاذل والتواكل والإهمال للرعية والإخلاد إلى الراحة، وأنا أسومهم الخسف، فأخرب الديار واهتك الأستار وأقتل الشبان وأأسر الولدان ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم إن أمكنك معرفة هذا، وأنتم تعتقدون أن الله تبارك وتعالى فرض على واحد منكم بعشرة منا وإن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، ونحن نعتقد أن

الله أظفرنا بكم وأعاننا عليكم ولا تقدرون دفاعاً ولا تستطيعون امتناعاً، وبلغنا عنك وأنك في الاحتفال عن نية الاستقبال فلا يدري أكان الجبن يغطي بك أم التكذيب بما أنزل عليك، فان كنت لا تستطيع الجواز فابعث إلي ما عندك من المراكب نجوز اليك، أناظرك في أحب البقاع إليك، فإن غلبتني فتلك نعمة جلبت إليك ونعمة شملت بين يديك، وإن غلبتك كانت لي اليد العليا واستكملت الإمارة والله يتم الإرادة " ولما قرئ الكتاب على الأمير يوسف بان له غرور عدوه والاستهانة بقوة المرابطين، فأعلمه يوسف بجوابه أن قوة المرابطين سيراها الفونسو في ساحة المعركة لا كما ينقلها إليه أتباعه مزورة بعيدة عن الحقيقة[٨٧] ، ثم أمر بالجواب على ظهر الكتاب ذاته[٨٨]"ما ترى لا ما تسمع إن شاء الله تعالى" وأردف:

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ... ولا رسل إلا الخميس العرمرم[٨٩]

وعاد الفونسو إلى إشبيلية فالتقى بجيشه الآخر أمام قصر المعتمد بن عباد بضفة النهر، وحاصر المدينة ثلاثة أيام وكتب إلى المعتمد يسأله أن يرسل إليه مروحة لطرد الذباب، ولم يتحمل المعتمد هذه الإهانة فرد عليه" قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك وسأنظر إليك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك ولا تروح عليك "[٩٠].

وترك الفونسو إشبيلية وسار نحو سرقسطة[٩١] وحاصرها، كانت شبه ضائعة تنتظر مصيرها المؤلم وصاحبها ابن هود لا يستطيع الدفاع كثيراً. ثم أخذ بلنسية[٩٢] وأعطاها لعهيده القادر بن ذي النون صاحب طليطلة السابق[٩٣]، وهاجم مملكة المرية[٩٤] ووصل القشتاليون[٩٥] إلى قرب غرناطة[٩٦].

وكان الخطر على الأندلس شديداً وقلة الشجاعة وانهيار الروح المعنوية تثبط العزائم إذ إن ثمانين قشتاليا هزموا أربعمائة من المرية. وأصبح الناس بين خيارين أحلاهما مر: الخضوع للنصارى أو الهجرة جماعات؟[٩٧] وكان الخيار الأخير هو الراجح لأن البقاء في شبه الجزيرة ضرب من الجنون.

استنجاد أهل الاندلس بيوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين:

أمام هذه الحالة السيئة التي وصلت إليها الأندلس المسلمة اجتمع مشايخ قرطبة وزعماؤها للتشاور فيما يجب عمله لإنقاذ مدينتهم ـ وكانت بلا حامية ـ وسائر بلاد الأندلس خاصة بعد غلبة النصارى عليها، وعرضوا على قاضي المدينة عبد الله بن محمد بن أدهم ما وصل إليه المسلمون من الذلة والصغار[٩٨] واقترحوا عليه الاستنجاد بعرب أفريقية الهلاليين.ولكن القاضي تخوف من وصولهم وتخريبهم للبلاد كما فعلوا بأفريقية، وأشار عليهم الاتصال بالمرابطين لأنهم أصلح منهم وأقرب إلى الأندلس، فطلبوا منه استدعاء الأمير يوسف بن تاشفين وفوضوه بالأمر[٩٩].

وكان مؤتمر قرطبة أول إجماع شعبي للخروج بالأندلس من محنتها بزعامة الفقهاء ملاذ الأمة في الظروف الصعبة. وتجاوز المسلمون حكامهم السياسيين والتجأوا إلى قادتهم الروحيين من أجل الخلاص وللحفاظ على الدين ولصيانة الأندلس المسلمة التي روتها دماء المجاهدين الأوائل الذين حملوا راية الإسلام ودوخوا النصارى منذ مطلع القرن الثاني الهجري.

وحرك مؤتمر قرطبة ما تبقى من استعداد للمقاومة في نفوس بعض الملوك الذين لم تطغ عليهم الخيانة ولم يصرفهم التهديد عن الاستعداد إلى التخاذل والاستسلام كالمتوكل ابن الأفطس والمعتمد بن عباد[١٠٠]. فقد لاحت للمعتمد طوالع المصير الذي ينتظره وأدرك فداحة الأخطاء التي تردى فيها بمصانعة الفونسو، فجد في تقوية جيشه وترميم الحصون والقلاع وقرر أن يستصرخ إخوانه المسلمين في المغرب[١٠١] وتشاور بالأمر مع ابنه الرشيد وزعماء إشبيلية الذين أشاروا عليه بمداراة الفونسو والرضوخ لشروطه التي يمليها، فذلك أولى من الاستنجاد بالمرابطين[١٠٢]. ولكن هذا الرأي لم يعجب المعتمد فخلا بابنه الرشيد ــ وكان ولي عهده ــ الذي كان يرى رأي أهل إشبيلية وقال له" أنا في هذا الأندلس غريب بين بحر مظلم وعدو مجرم وليس لنا ولي ولا ناصر إلا الله. وإن إخواننا وجيراننا ملوك الأندلس ليس فيهم نفع ولا يرجى منهم نصرة ولا حيلة

إن نزل بنا مصاب أو نالنا عدو ثقيل وهو اللعين اذفونش فقد أخذ طليطلة وعادت دار كفر وهو قد رفع رأسه إلينا. وإن نزل علينا بطليطلة ما يرفع عنا حتى يأخذ إشبيلية. ونرى من الرأي أن نبعث إلى هذه الصحراء وملك العدوة نستدعيه للجواز إلينا ليدفع عنا الكلب اللعين إذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا، فقد تلف لجاؤنا وتدبرت بل تبردت أجنادنا وبغضتنا العامة والخاصة"[١٠٣] فأجابه الرشيد" يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا"؟[١٠٤] فقال" أي بني والله لا يسمع عني أبداً إني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم علي اللعنة من على منابر الإسلام مثل ما قامت على غيري، حرز الجمال والله عندي، خير من حرز الخنازير"[١٠٥].

وشاع في الأندلس رأي المعتمد بن عباد الاستنجاد بالمرابطين. ولما تحقق ملوك الأندلس من ذلك حذروه عاقبة ذلك وقالوا له، "الملك عقيم وألاسيفان(السيفان) لا يجتمعان في غمد واحد"[١٠٦]. وقد عارض بشدة عبد الله بن سكوت والي مالقة الاستنجاد بالمرابطين[١٠٧] الذي كان يرى أن المرابطين أشد خطراً من النصارى ويجب الاعتماد على القوى الذاتية للأندلسيين[١٠٨]. فأجابهم المعتمد" رعي الجمال خير من رعي الخنازير"[١٠٩] وأضاف" إن دهينا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الشرين أمر الملثمين"(المرابطين)[١١٠].

ولما عزم على الاستنجاد بالمرابطين اتصل المعتمد بالمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس، وعبد الله بن بلقين الصنهاجي صاحب غرناطة وطلب منهما أن يرسل كل منهما قاضي حضرته لتشكيل بعثة تذهب إلى المغرب لمقابلة الأمير يوسف بن تاشفين، واستحضر قاضي قرطبة ابن أدهم وكان أعقل أهل زمانه[١١١] وعلى هذا النحو تشكلت البعثة الرسمية[١١٢] إلى الأمير يوسف، وأطلعهم المعتمد أنهم رسله إلى الأمير يوسف، وأسند إلى القضاة وعظ الأمير وترغيبه في الجهاد وإلى وزيره أبى بكر بن زيدون إبرام العقود[١١٣] وحملت البعثة معها رسالة مكتوبة من المعتمد إلى الأمير يوسف مؤرخة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[١١٤].

وعبر السفراء البحر إلى المغرب قاصدين الأمير يوسف في مراكش. والظاهر أن هذه السفارة لم تلتمس العون دون شروط ، فقد كانت مزودة بتعاليم واضحة. وفي أثناء اجتماعها مع الأمير يوسف جرت بين الفريقين محادثات ومروضات[١١٥]. وفي هذه الأثناء كانت وفود عديدة من الأندلس تؤم بلاط الأمير يوسف مستغيثة[١١٦]، فيصغي الأمير إليهم وترق نفسه لهم ويعدهم خيراً.

وأطلع الأمير يوسف حاشيته على المحادثات لاستشارتهم بالأمر، وكان المرابطون متشوقين لدخول الأندلس والجهاد ضد النصارى [١١٧] وكان رأيهم، " أما ما ذكرتم من استغاثة هذا الرجل(أي المعتمد) بكم فواجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله إغاثة أخيه المسلم، وأخرى فإنه لا يحل لنا أن يكون جارياً وبيننا وبينه ساقية ماء فسقوه طعمة للعدو وهذا ما ترونه. والأمر لله ولأمير المسلمين"[١١٨].

واستشار الأمير يوسف كاتبه ووزيره الأندلسي عبد الرحمن بن أسبط (أو إسباط) فنصحه الكاتب بأن يتسلم الجزيرة الخضراء[١١٩] لكي تكون آمينة لعبور الجيش ولحماية خطوطه التموينية[١٢٠]. وقال له" إن الأمر لله تعالى، ولكم وواجب على كل مسلم إغاثة أخيه المسلم والانتصار له. غير إن لي كلاماً أنهيه إليكم، أيد الله الأمير تعمرون الثمن وسبعة أثمان يعمرها النصارى وهي ضيقة عرجة حريجة سجن لمن دخلها لا يخرج منها إلا تحت حكم صاحبها. وإن أنت جزت إليها وحصلت فيها ما يكون لك في نفسك شيء. وهذا الرجل الذي استدعاك ما بينك وبينه عتاب قديم ولا صداقة متصلة وينقى إذ قضى الله الغرض من العدو أمسك بها. والحال كما ترونه والنظر إليكم فاكتبوا إليه فإنه لا يمكنك الجواز إلا أن يعطيك الجزيرة الخضراء فتجعل فيها أثقالك وأجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت"[١٢١]. فقال له الأمير،" صدقت يا عبد الرحمن لقد نبهتني على شيء لم يخطر ببالي، أكتب اليه بذلك"[١٢٢]. وكتب ابن أسبط إلى المعتمد بن عباد كتاب بذلك.

أطلع المعتمد ابنه الرشيد على خطاب الأمير يوسف فقال له، " يا أبت ألا تنظر إلى ما طلب"[١٢٣]، فقال له المعتمد " يا بني هذا قليل في حق نصرة المسلمين"[١٢٤]. ثم

جمع المعتمد القاضي والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء للأمير يوسف وتسليمها له بحضورهم، وكان يحكمها يزيد الراضي بن المعتمد، فبعث إليه يأمره بإخلائها وتسليمها للمرابطين لتكون رهن بتصرف الأمير يوسف(١٢٥).

عبور الأمير يوسف وقوات المرابطين إلى الجزيرة الخضراء في الأنلس:

وبعد حصوله على الجزيرة حزم الأمير يوسف أمره وقرر تلبية نداء أهل الأندلس تحدوه نزعة للجهاد وكتب أماناً إلى أهلها على ألا يتعرض لأحد منهم في بلده وقال" أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى الأمر احدُ إلا أنا بنفسي" (١٢٦)واستنفر سائر قواته للجهاد وبعث إلى مراكش في طلب الجنود فأقبلت إليه(١٢٧).

وكذلك من الصحراء والقبلة وبلاد الزاب(١٢٨) ومختلف نواحي المغرب(١٢٩)، وحشد السفن لعبور هذه القوات وأصدر أوامره بالعبور إلى بلاد الأندلس(١٣٠) وكانت طليعة العابرين قوة من الفرسان بقيادة داؤد بن عائشة(١٣١) إلى الجزيرة الخضراء فتمركز فيها وفقاً لما تم عليه الاتفاق، وتوالى عبور بقية الجيش تباعاً، وقد أمر الأمير يوسف بعبور الجمال بأعداد كثيرة (١٣٢) وقد أثار ظهورها دهشة الأندلسيين لأنهم لم يكونوا قد رأوها من قبل، وقد أثر وجودها على الخيل فأخذت تجمح لدى رؤيتها(١٣٣) ولما تكامل الجيش المرابطي بساحل الجزيرة الخضراء عبر الأمير يوسف في أثره بموكب من قادة المرابطين وأنجادهم وصلحائهم(١٣٤). ولما استوى على ظهر السفينة رفع يديه نحو السماء مناجياً" اللهم إن كنت تعلم أن في جوازنا هذا إصلاحاً للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبره وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا نجوزه"(١٣٥) وسهل الله عليهم العبور في أسرع وقت وكان ذلك يوم الخميس بعد الزوال منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/ يونيو ١٠٨٦م(١٣٦) ونزل بالجزيرة الخضراء، فصلى بها الظهر(١٣٧)، واستقبله سكانها بالترحاب وخرجوا إليه بما عندهم من الأقوات والضيافات وأقاموا الأسواق لذلك وامتلأت المساجد والرحبات بالمتطوعين(١٣٨) وشرع يوسف في تحصين الجزيرة وترميم أسوارها وما تصدع من أبراجها، وشحنها بالأسلحة والأطعمة،

أوكل حراستها إلى نخبة من رجاله[١٣٩] وبعد أن استراح قليلاً ونظم أمور الجزيرة سار يوسف نحو إشبيلية.

لقاء الأمير يوسف بأمراء الآندلس والأستعداد للحرب:

سارع المعتمد لملاقاة الأمير يوسف في مئة من فرسانه ووجوه أصحابه[١٤٠] والتقى به على بعد مرحلة من الجزيرة الخضراء[١٤١]، ركض المعتمد نحو المرابطين فبرز إليه الأمير يوسف وحده والتقيا منفردين وتعانقا طويلاً وأظهر أمام الجيش المودة والإخلاص، وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر[١٤٢] وقدم المعتمد بعد ذلك للأمير يوسف الهدايا وأمر عمال البلاد بجلب الأقوات والضيافات للجيش المرابطي فنعمت الحملة مما بعث السرور في نفس الأمير[١٤٣]. واستعرض المعتمد الجيش المرابطي فرأى" عسكراً نقياً ومنظراً بهياً"[١٤٤].

وتابع الأمير يوسف سيره نحو إشبيلية وقد كان يستقبل بالترحاب مع جيشه المرابطي على امتداد الطريق حتى وصل إلى حاضرة المعتمد فأقام فيها ثلاثة أيام للاستراحة[١٤٥] ثم قال للمعتمد"إنما جئت ناوياً جهاد العدو فحيثما كان توجهت"[١٤٦] وخلال إقامته القصيرة في إشبيلية بعث الأمير يوسف إلى ملوك الأندلس يستنفرهم للجهاد[١٤٧]، فكان أول من لبى الدعوة عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة الذي خرج إليه بأمواله ورجاله والتقى بالأمير يوسف على طريق بطليوس، وأخوه تميم صاحب مالقة[١٤٨]، واعتذر ابن صمادح صاحب المرية لكبر سنه ولمجاورة العدو له وأرسل ابنه معز الدولة في فرقة من جيشه[١٤٩]. وسار الجيش المرابطي بقيادة الأمير يوسف مع الجيش الأندلسي نحو بطليوس فاستقبلهم صاحبها المتوكل بن الأفطس على ثلاث مراحل من المدينة وقدم لهم الهدايا والقرى والعلف[١٥٠]، وأقام هناك الأمير يوسف أياماً عدة حتى يصل باقي المتطوعين، ثم علم أن أكثرهم مشغول بمدافعة النصارى فتابع سيره حتى وصل سهل الزلاقة[١٥١] وهناك نظم يوسف جيشه، فجعل الأندلسيين جيشاً قائماً بذاته أسند قيادته إلى المعتمد بن عباد الذي تولى في الوقت ذاته المقدمة[١٥٢]،

وعين المتوكل بن الأفطس على الميمنة[١٥٣] وأهل الشرق كانو على الميسرة وحشد سائر أهل الأندلس في الساقة[١٥٤]، وخيم هذا الجيش أمام المرابطين. أما الجيش المرابطي، فقد تولى قيادة فرسانه داؤد بن عائشة وسير بن أبي بكر وبقية المرابطين مع حرس الأمير يوسف بن تاشفين إلى جانب قيادته للجيش الإسلامي، وعسكر المرابطون خلف الأندلسيين تفصل بينهم ربوة بقصد التمويه[١٥٥]. وبلغ عدد الجيش الإسلامي من مرابطين وأندلسيين أكثر من ٢٠ألف جندي[١٥٦].

كانت أنباء عبور المرابطين إلى الأندلس قد وصلت إلى الفونسو، وهو محاصر سرقسطة. فارتاع[١٥٧]، ولكنه حاول أن ينتهز الفرصة، وطلب من صاحبها المستعين بن هود مبلغاً من المال لرفع الحصار عن المدينة معتقداً أن المستعين لا علم له بالعبور. ولكن النبأ السعيد قد عم الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها وكأنه رحمة نزلت من السماء على المستعين الذي رفض إعطاءه درهماً واحداً[١٥٨] خشية أن يتقوى به، فرحل عن سرقسطة مسرعاً إلى طليطلة للاستعداد لدفع الخطر الذي داهمه على غفلة، هذا الخطر أملى عليه التحالف مع أمراء النصرانية، فبعث إلى سانشورامیرز ملك أرجوان يستدعيه لنجدته وكان سانشو يحاصر[١٥٩] طرطوشة[١٦٠]، وإلى الكونت برنجار ريموند، كما أرسل إلى قائده البرهانس يستدعيه من بلنسية[١٦١]. استنفر الكبيروالصغير، لم يدع في أقاصي مملكته من يقدر على حمل السلاح إلا استنهضه[١٦٢]، جاء يجر الشوك والحجر[١٦٣]. وطلب النجدة من وراء جبال البرتات من برجونية[١٦٤] وبروفانس[١٦٥]، فأتته من تلك البلاد أفواج عديدة من المتطوعين[١٦٦]. وقسم الفونسو جيشه إلى قسمين كبيرين، اسند قيادة الجيش الأول إلى ابن عمه الكونت غارسيا، ورودريك، وما لبث غارسيا أن انسحب قبل بدء المعركة إثر خلاف مع الفونسو الذي أبقى رودريك في القيادة [١٦٧]، واحتفظ بقيادة الجيش الثاني وعين على جناحيه سانتشورامیرز والكونت برنجار ريموند وتولى هو القلب[١٦٨] وكان الفرسان يشكلون العمود الفقري في جيش الفونسو الذي اعتمد على الفارس كفرد أكثر من الاعتماد على الفرسان كمجموعة، كان الفارس يلبس الزرد والدروع

التي تغطيه من الرأس إلى القدم كأنه حصن من الحديد يتحرك[١٦٩]، لقد تحصن بالحديد واتخذ من السلاح ما يزيد من جرأته وشجاعته[١٧٠].

واستعرض الفونسو جيشه فأعجبته كثرته وأخذه الغرور فقال"بهذا الجيش ألقى محمد وآله محمد والانس والجن والملائكة"[١٧١]، وتقدم الرهبان والقسيسون أمامه وهم يرفعون الأناجيل والصلبان لإذكاء الحماس في نفوس الجنود[١٧٢] الذين بلغ عددهم اربعين ألفاً [١٧٣].

ثم خرج الفونسو بجيشه نحو بطليوس، وكتب إلى المعتمد بن عباد كتاباً جاء فيه" إن صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار، وأنا أكفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعباً، أمضي إليكم وألقاكم في بلادكم رفقاًبكم وتوفيراً عليكم"[١٧٤]. وكان الفونسو يقصد من خروجه إلى بلاد أعدائه أن تكون المعركة في ارضهم كي لا تخرب الحرب بلاده بينما يصيب ذلك بلاد المسلمين، فإذا انهزم ولحقوا به يكون مسيرهم في أرضهم ولا بدّ لهم من الاستعداد لاكتساح بلاده،وبذلك تنجو من التدمير، وإذا انتصر حدث ذلك في أرض أعدائه[١٧٥]. وصل الفونسو إلى بطحاء الزلاقة وخيم على بعد ثلاثة أميال من الجيش المسلم يفصل بينهما نهر بطليوس يشرب منه المتحاربون[١٧٦].

وقد كانت الأحوال تنذر بأن المعركة ستكون حاسمة بالنسبة للأندلس، فقد بلغت القوى النصرانية ذروة قوتها تذكيها نزعة صليبية تهدف إلى طرد المسلمين من الأندلس، وبالمقابل فإن الحماس الذي بثه المرابطون قد جدد عزائم الأندلسيين وأحياء موات الأمال فيهم.

وكان الفونسو يهدف إلى ضرب القوى المحلية في الأندلس لأنهم السكان الاصليون للبلاد، وبالقضاء عليهم تخلو له الساحة من أية قوة مناوئة في المستقبل، فيبسط سيطرته على شبه الجزيرة وبذلك يحقق الهدف من الحرب الصليبية الهادفة إلى إعادة الأندلس إلى النصرانية، كان ينظر إلى الأندلسيين نظرة احتقار وازدراء فهو الذي اقتضى منهم

الجزية سنين عدداً، وتلاعب بمصيرهم مترقباً الفرصة المناسبة لاستئصالهم من الأندلس، وهاهي قد أتت.

أما المرابطون فبنظره طارئون على الأندلس، ولا بدّ لهم من العودةٍ إلى وطنهم الأصلي المغرب وأنهم وإن كانوا مقاتلين أشداء، فإنه بالقضاء على الأندلسيين تنفتح الطريق أمامه لهزيمتهم بسبب جهلهم بالطبيعة الجغرافية للبلاد.

وفي المقابل كان الأندلسيون يظهرون حماسهم للجهاد والقتال، ولكن الخنوع والحياة الهنيئة بلغت منهم مبلغاً، كانوا حريصين على حياتهم ولا يرغبون في الاستشهاد، فقد خضعوا للنصارى طويلاً ودفعوا لهم الجزية للاحتفاظ بعروشهم وجندوا المرتزقة لقتال بعضهم ، فهم لا جدوى منهم ولا يمكن الاعتماد عليهم، ما عدا القلة منهم، كالمعتمد بن عباد ملك إشبيلية والمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس اللذين رفضا الانصياع لمتطلبات الفونسو المتكررة، وقررا امتشاق الحسام، فمن ظفر عاش سعيداً ومن مات كان شهيداً، فهم أبنا ثلاثة قرون ونصف في الأندلس، وقد روى أجدادهم بطاح الأندلس ووهادها بدمائهم ــ وكم بذل المسلمون من الدماء رخيصة للبقاء في الأندلس والمحافظة على طابعها الإسلامي وحضارتهاــ لقد أكلت حروب الأندلس وما وراءها زهرة الشباب المسلم منذ الفتح حتى تلك اللحظة، وقد أتى الآن من يحافظ على هذا التراث الثمين. وبعض الأندلسيين يريد أن يضرب النصارى بالمرابطين وبذلك يتخلصون من أعدائهم المحليين بأسهل الطرق وعلى يد غيرهم، ويعود المرابطون بعد ذلك إلى المغرب فتبقى لهم الأندلس خالصة فتسلم لهم دويلاتهم دون خسائر تذكر.

أما المرابطون وهم المضطرمون حماساً دينياً، فكانوا متشوقين إلى الاستشهاد معتمدين في القتال على أنفسهم خاصة وأنهم غرباء في بلاد بعيدة، وقد أدرك الأمير يوسف أن لا جدوى من الأندلسيين، ولا يمكن الاعتماد عليهم بعدما لمس من أكثرهم التردد والمماطلة.

ونتائج القتال مصيرية في نظرهم، فإذا انهزموا أمام القشتالين(النصارى) فذلك يعني أن المغرب ستعمه الفوضى على يد أعدائهم المتربصين بهم، وهم كثر، وإذا عادوا ظافرين فقد يقلع أعداؤهم المغاربة عن فكرة التمرد والثورة ليقينهم برسوخ دولة المرابطين وقوتها خاصة أنها أثبتت كفاءتها في معارك الجهاد خارج المغرب. وبالنسبة للأندلس يتم إنقاذها من الانحطاط الذي تردت فيه وبذلك يكون المرابطون قد حفظوا الإسلام والحضارة في ذلك الصقع النائي من العالم الإسلامي.

وقد كانت جميع الدلائل تشير إلى تفوق الجيش القشتالي على الجيش المرابطي من حيث العدة والعدد(١٧٧)، ومن الميزات التي تجعله متفوقاً أن بلاده قريبة بحيث يستطيع قائده طلب المزيد من المتطوعين والأسلحة حتى من بلاد الفرنجة وبلاد البابويه، وكانت تحميه من الوراء سلسلة من الحصون المنيعة يلجأ إليها في حال الهزيمة. أما الجيش المرابطي فقد كان محدود العدد، وليس باستطاعة الأمير يوسف استدعاء المزيد من الجنود من المغرب، فقد زج في المعركة بكامل قواته التي استطاع تجنيدها، خاصة وأنه لا يرغب بإخلاء المغرب من المرابطين وقد أخضعه بالسيف، وأعداؤه لم يزولوا نهائياً عن مسرح الأحداث المغربية، واعتماده على الأندلسيين كان ضعيفاً، فلم يستطيعوا تجنيد عدد كبير من المقاتلين(١٧٨) وكانوا في حالة من الانهيار المعنوي أمام الفونسو الذي أذلهم، وقد عوض الأمير يوسف هذا الضعف في جيشه بالحماس الذي بثه في نفوس الجنود.

وعلى مقتضى الشريعة الإسلامية قدم يوسف إلى الفونسو كتاباً يعرض عليه الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، وهي الطريقة الإسلامية المتبعة مع أهل الكتاب(١٧٩). ومما جاء في كتاب الأمير(١٨٠)"بلغنا يا أذفونش أنك دعوت(نحوت) الاجتماع بنا وتمنيت أن تكون لك فلك(سفن) تعبر البحر عليها إلينا فقد جزناه إليك، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وترى عاقبة ادعائك""وما دعاء الكافرين إلا في ضلال"(١٨١).

قرأ الفونسو الكتاب فزاد من غضبه وذهب بعقله وقال" أبمثل هذه المخاطبة يخاطبني وأنا وأبي نغرم الجزية لأهل ملته منذ ثمانين سنة"(١٨٢) وقال لرسول الأمير يوسف(١٨٣)" قل للأمير لا تتعب نفسك أنا أصل إليك" ومعنى ذلك أن الفونسو اختار الحرب.

ولأن الحرب خدعة، فقد حاول الفونسو بمكره الشديد أن يخدع الأمير يوسف في تحديد يوم المعركة فكتب اليه " إن غداً يوم الجمعة لا نحب مقابلتكم فيه لأنه عيدكم، وبعده السبت يوم عيد اليهود وهم كثير في محلتنا، وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين"(١٨٤). فكان جواب الأمير"اتركوا اللعين وما أحب"(١٨٥).

وقد تنبه المعتمد إلى خديعة الفونسو، وقال للامير يوسف"إنها حيلة منه وخديعة إنما يريد غدرنا فلا تطمئن إليه، وقصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار"(١٨٦). وقد حرص المعتمد على سلامة المرابطين من غدر العدو فبعث عيونه حول معسكرهم خوفاً من تسلل العدو إليهم، فهم غرباء يجهلون الأرض الأندلسية حتى أن المعتمد نفسه كان يشرف على الحراسة، فكان الجندي المرابطي إذا تجول خارج معسكره يرى المعتمد أو بعض رجاله يقومون بأعمال الحراسة(١٨٧).وأخذت جواسيس الفريقين تتردد بين المعسكرين، وأرسل ابن عباد طلائع من جيشه لرصد تحركات العدو، وأثناء الليل عاد بعض الجواسيس ليخبر المعتمد بأن الفونسو يوصي أصحابه بالمعتمد لأنه أشعل هذه الحرب فيجب القضاء عليه(١٨٨). وعند السحر من يوم الجمعة أقبل فارسان من فرقة الاستطلاع يخبران المعتمد ببدء تحرك العدو نحوهم إذ أن الضوضاء وقعقة السلاح تملآن أرجاء المعسكر(١٨٩).

معركة الزلاقة ١٢رجب سنة ٤٧٩هـ / ٢٣ اكتوبر ١٠٨٦م:

أنقض الجيش الذي يقوده رودريك بمنتهى العنف على معسكر الأندلسيين فاصطدم بفرسان المرابطين الذين يقودهم داؤد بن عائشة أرسلهم الأمير يوسف على

عجل لدعم الأندلسيين، وصمد داؤد أمام الهجوم وأرغم النصارى على الارتداد إلى خط دفاعهم الثاني، ولكن ذلك كلفه خسائر فادحة[١٩٠]" استأثر الله فيها بأرواح شهدت لها الرحمة وخطبتها الجنة"[١٩١] فاضطر إلى التراجع. وفي الوقت نفسه زحف الفونسو ببقية جيشه نحو المسلمين واقترن زحفه بصياح هائل أثار الذعر في قلوب الأندلسيين قبل خوضهم المعركة وروعوا أيما روع فلاذوا بالفرار حتى أسوار بطليوس للاحتماء بها، ولم يصمد منهم إلا المعتمد ومعه الأشبيليون[١٩٢] استطاعوا إنقاذ شرف المسلمين، وأصيب المعتمد بجراح بليغة حتى قيل أن ثلاث أفراس قد عقرت تحته[١٩٣]. ودارت معركة رهيبة صمد فيها المعتمد وابن عائشة، فقد فلت السيوف وتكسرت الرماح، وصبر المسلمون في المعركة" صبر الكرام لحرب اللئام"[١٩٤]، وأيقن الفونسو ببلوغ النصر معتقداً أن هذه هي قوة المسلمين المقاتلة، وقد أخذت تضعف واشتدت حركة الفرار منها[١٩٥]، ولم يعلم ببقية الجيش المرابطي الذي يقوده الأمير يوسف، ففي تلك اللحظة الحاسمة وثب الجيش المرابطي إلى ميدان المعركة في وقت أخذت فيه القوى النصرانية بالهبوط نتيجة الخسائر الفادحة التى أصابتها لدى الهجوم الأول، وأرسل يوسف القائد سير بن أبي بكر على رأس الحشم لمساندة القوات الإسلامية[١٩٦] فتقوت بذلك معنوياتهم في معركة مالت إلى هزيمتهم، وزحف الأمير بحرسه المرابطي وقام بعملية التفاف سريعة باغت فيها معسكر العدو من الخلف ووصل إلى خيامه وأحرقها وأباد حراسها ولم ينج منهم إلا القليل، وكانت طبول المرابطين تدق بعنف فترتج منها الأرض، ورغاء الجمال يتصاعد إلى السماء فبث الذعر في نفوس الأعداء وهلعت قلوبهم[١٩٧]. وفي هذه الأثناء كان الفونسو يدفع بجيشه إلى الأمام لانتزاع النصر، فذهل عندما رأى بعض حرس معسكره فارين، وأتته الأخبار من داخل المعسكر باستيلاء المرابطين عليه[١٩٨] وإنه خسر حوالي عشرة

آلاف قتيل[١٩٩] وألفى الفونسو نفسه محاصراً من المسلمين فاضطر للقتال متقهقراً نحو معسكره المحترق، ولكن يوسف لم يترك له فرصة لالتقاط الأنفاس، فانقض عليه كالسيل، وقاتل الفونسو عند ذلك قتال المستميت وبلغ قلب الجيش المرابطي، حتى أن الأمير يوسف ارتاب بنتيجة المعركة[٢٠٠]، فبدأ يبث الحماس في نفوس المسلمين قائلاً،" يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد أعداء الله الكافرين ومن رزق منكم الشهادة فله الجنة ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة"[٢٠١] ولم يقتصر يوسف على تشجيع الجنود وبث الحماس في نفوسهم فقد كان يقاتل في مقدمة الصفوف وهو ابن التاسعة والسبعين، وانتدب كذلك الفقهاء والصالحين لوعظ الجنود وتشجيعهم[٢٠٢]. وفي هذا الجو الرهيب من القتال الذي دام بضع ساعات سقط خلاله آلاف القتلى وغمر الدم ساحة المعركة، عندها دفع الأمير يوسف حرسه الخاص من السودان إلى القتال[٢٠٣] فترجل منهم حوالي أربعة آلاف كانوا مسلحين بسيوف الهند [٢٠٤]، اندفعوا اندفاع الصاعقة لتحطيم المقاومة النصرانية، فطعنوا الخيل حتى رمحت بفرسانها، وانقض أسود شجاع من الحرس على الفونسو والتصق به ومنعه من استعمال سيفه وطعنه بخنجر يقال له الأطاس[٢٠٥] كان متمنطقاً به فهتك درعه ونفذ في فخذه[٢٠٦]، وبقي أثره بادياً في الفونسو ما بقي حياً[٢٠٧]، وأظهر المرابطون من ضروب البسالة ما كفل لهم النصر[٢٠٨].

وقبل دخول الظلام بدت تباشير النصر للأمير يوسف، فقد لاذ من بقي من النصارى بالفرار، واشتدت الهزيمة على الفونسو الذي تمنى الموت على العيش، ولجأ مع خمسمائة فارس من فرسانه الذين افلتوا من اظفار المنية إلى تل قريب بانتظار الظلام للنجاة من سيوف المرابطين[٢٠٩]، وحاول المسلمون اللحاق به فمنعهم الأمير يوسف قائلاً "الكلب إذا ارهق لا بدّ أن يعض، وقد سلم الله المسلمين من معركة ولم

يقتل منهم إلا القليل، فإن هجمتم على هؤلاء أبلوا بلاء عظيماً، ولكن اتركوهم"[٢١٠] وامتثل المسلمون لأوامر يوسف وكانت مناسبة للفونسو، فقد انسل مع من بقي معه إلى مدينة قورية[٢١١] ومنها تابع سيره إلى طليطلة ودخلها بمئة فارس بعد أن مات الباقون في الطريق[٢١٢]. وهناك سأل عن خيرة فرسانه ورجاله فلم يسمع إلا نواح الثكالى فحزن عليهم حزناً شديداً[٢١٣].

وفقد الفونسو في الزلاقة القسم الأعظم من جيشه وكانت هزيمة منكرة له[٢١٤]، وخسر المسلمون عدداً كبيراً، ولكن المنتصر دائماً يقلل من خسائره، فقد ذكر أن مكان المعركة لم يكن فيه موضع قدم إلا على ميت أو دم[٢١٥]. وقضى في الزلاقة جماعة من العلماء والفقهاء، منهم: قاضى مراكش عبد الملك المصمودي والفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي[٢١٦].

وأقام الجيش الإسلامي أربعة أيام يجمع الأسلاب والغنائم التي تركها النصارى وراءهم في ساحة المعركة[٢١٧]، وآثر الأمير يوسف بها ملوك الأندلس، وقد عرفهم أن هدفه الجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام[٢١٨].

كل ما سبق كان في ١٢ رجب من سنة ٤٧٩هـ /٢٣ اكتوبر ١٠٨٦م،[٢١٩] وقضى المسلمون ليلهم في ساحة القتال يرددون أناشيد النصر شكراً لله عز وجل، فلما بزغ الفجر أدوا صلاة الصبح في سهل الزلاقة، ثم حشدوا جموع الأسرى، وجمعوا الأسلاب والغنائم، وأمر ابن تاشفين برؤوس القتلى فصفت في سهل الزلاقة على شكل هرم[٢٢٠]، ثم أمر فأذن للصلاة من فوق أحدها.

وذاع خبر النصر في افريقية والأندلس وقرئت البشرى به في المساجد وعلى المنابر،ابتهاجا بانقاذ الإسلام في الأندلس[٢٢١].

كان من المفترض استثمار النصر لسحق مملكة قشتالة بوقت قصير، إلا أن المسلمين لم يتابعوا مطاردة اعدائهم، مما جعل الفونسو السادس يجد في حشد جيش جديد، ساعده

في ذلك ظرف مناسب جدا، وهو ان يوسف بن تاشفين تلقى عقب نصره نبا وفاة ولده أبي بكر الذي خلفه على مراكش في أثناء غيابه فعجل يوسف بن تاشفين _ قبل كل شيء بالعودة الى المغرب(٢٢٢).

الجواز الثاني:

استطاع الفونسو السادس بسرعة مدهشة ان يحشد جيش جديد، فروح الصليبية دفعت افواج المتطوعين النصارى إلى الأندلس لشد ازرها في معركتها ضد الإسلام، وأزر الفونسو السادس فرسان حصن لبيط (٢٢٣) فعاث في البلاد سلبا ونهبا وحرقا(٢٢٤).وذلك بسبب أنه لم تجتمع كلمة الأمراء الأندلسيين على روابط الاتحاد القوية بل كانت تسودهم عواطف الأثرة والحسد، وسار المعتمد الى مراكش وأخبر يوسف بن تاشفين ما يسود الأمراء المسلمين في الأندلس(٢٢٥).

أدرك يوسف بن تاشفين خطورة الموقف فعبر في ربيع الأول سنة ٤٨١هـ/ يونيو ١٠٨٨م(٢٢٦) إلى الجزيرة الخضراء بجيش ضخم وسار الى مرسية وأمر أمراء الأندلس أن يوافوه بقواتهم عند حصن لبيط (٢٢٧) وحاصر هذا الحصن المنيع الذي كان فيه الف فارس واثنا عشر ألف من المشاه(٢٢٨).

وعند أسوار الحصن قرر يوسف بن تاشفين رفع الحصار عن الحصن بعد أن حاصره شهراً(٢٢٩)، وفي بعض الروايات أربعة أشهر،(٢٣٠) والسبب أن الحصار لم يكن له جدواه بسبب قلة ادوات الحصار وأسلحة الحصار ومناعة الحصن ودخول الشتاء(٢٣١).اعترض على هذا امير مرسية وثار عبد العزيز بن رشيق فامر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه، فما كان من جند مرسية بقيادة زعمائهم إلا أن ساروا إلى حدود مرسية واعتصموا بشعب الجبال وقطعوا المؤن عن الجيش المرابطي(٢٣٢).

وفي هذه الأثناء أمر الفونسو السادس بتقويض وحرق اسوار حصن لبيط واخلائه، لأن هذا الموقع الهام، لايمكن الدفاع عنه دون حماية كبيرة(٢٣٣).

وعاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب وترك في الأندلس جيشاً كما فعل بعد معركة الزلاقة[٢٣٤].

وقد وجد على ملوك الأندلس واتهمهم بالإغماض في أمره، وداخله الناس في شانهم، ودست إليه السعايات بهم ومشى بينهم الوشاة بالنمائم[٢٣٥].

الجواز الثالث:

حاول بعض أمراء الأندلس توطيد سلطانهم على حساب الإسلام، ذاته ولم يتورع بعضهم عن التحالف سرا مع الفونسو السادس، أملا في التمكن بمعونته من طرد المرابطين، الذين استدعوهم بأنفسهم من قبل.وقف يوسف بن تاشفين على هذه الأمور من قائده سير بن ابي بكر الذي عهدإليه بقيادة الجيش في الأندلس في أثناء غيبته[٢٣٦].

وعبر يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٣هـ /١٠٩٠م بقوة ضخمة عبرت من سبتة الى الجزيرة الخضراء، وهذه المرة لم يطلب من أمراء الأندلس جنداً لمعونته كما لم يعرضوا عليه معونتهم[٢٣٧]، وسار يوسف بن تاشفين إلى طليطلة[٢٣٨] وسير من هناك فرقا من جيشه نحو مختلف المدن وسار بنفسه إلى مدينة غرناطة.

كان يوسف بن تاشفين أشد مايكون ارتيابا في أمير غرناطة[٢٣٩] ففتح يوسف بن تاشفين غرناطة

بعد حصار شهرين[٢٤٠] وأمام سقوط غرناطة، أرسل المعتمد بن عباد وابن الأفطس رسلا يستوضحان الأمر فلقي الوفد من يوسف بن تاشفين كل إعراض، حتى انه رفض مقابلة ابن عباد والافطس[٢٤١]، وهذا جزاء عادل لمن فرقوا كلمتهم امام عدو وحد صفه.

ثم عبر يوسف بن تاشفين إلى سبته في سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م[٢٤٢] لكي يعجل إرسال الجند منها إلى الأندلس وترك أحد قادته في غرناطة على رأس الجيش المرابطى، وسير

يوسف بن تاشفين إلى الأندلس أربعة جيوش في وقت واحد، وكل واحداً منها تحت إمرة قائد خاص لتقضي على ملوك الطوائف[٢٤٣]، وتقرر أن تكون الضربة الأولى إلى اقواهم واشدهم باسا وهو المعتمد بن عباد

والجيوش الأربعة كانت على النحو الأتي: الجيش الاول توجه الى أشبيلية ، والجيش الثاني سار إلى قرطبة ، والجيش الثالث توجه إلى أراضي رندة ، والجيش الرابع سار إلى المرية .

وبقي يوسف بن تاشفين في سبتة على رأس جيش احتياطي، لكي يقوم عند الحاجة بإنجاد هذا الجيش او ذاك[٢٤٤]، ورغم ذلك فقد استغاث المعتمد أمير اشبيلية بالفونسو السادس، ونسى الفونسو السادس عداه القديم، وعقد الخطر المشترك أواصر الصداقة بينهما[٢٤٥].

وعلى الرغم من ذلك سقطت قرطبة في صفر سنة ٤٨٤هـ / فبراير ١٠٩١م[٢٤٦] كما سقطت قرمونة في ربيع الأول سنة ٤٨٤ هـ/ مارس١٠٩٠م[٢٤٧]. وبعد حروب بين الجيش المرابطي وجيش المعتمد بن عباد ومعه النصارى تغلبت قوات المرابطين عليهم، وفتحت اشبيلية عنوة في رجب سنة ٤٨٤هـ / يوليو ١٠٩١م[٢٤٨] والقى القبض على ابن عباد[٢٤٩].

وهكذا افتتح المرابطون ولايات[٢٥٠] الأندلس كلها في وقت لم يتجاوز ثمانية عشر شهرا[٢٥١]، وأصبحت الأندلس المسلمة كلها بيد المرابطين سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م[٢٥٢] باستثنا سرقسطة[٢٥٣] وبلنسية[٢٥٤].وكانت سياسة المرابطين في الأندلس سياسة مبنية على نشر الإسلام والحضارة والتسامح، أما القشتالين فقد كانت سياستهم صليبية مبنية على الهمجية والغدر ولا تستند إلى علم أو حضارة.

وتجلت سماحة المسلمين بوفائهم التام بعهودهم، وبمعاملتهم المثالية الإنسانية للأسرى من أعدائهم. واتضحت روح التعصب الصليبي بنقض العهود وبحرقهم للقرى

والزرع وبعيشهم فسادا في المدن وتعذيب الأسرى وقتلهم حرقا بعد أمان[٢٥٥]، وهذا مالم يكن قد فعله المسلمون ابداً في اثناء الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس.

الجواز الرابع:

لما خضعت الأندلس المسلمة كلها للمرابطين، بما في ذلك بني هود الذين أصبحوا تحت امرة المرابطين وعلى الرغم من استقلالهم، عبر يوسف بن تاشفين العبور الرابع سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م[٢٥٦] والهدف من ذلك أنه كان يريد تنظيم شؤونها، ويطلع على حسن سير الإدارة، كما دعا القادة والولاة الى اجتماع في قرطبة بعد أن أصبحت قاعدة الحكم في الأندلس المسلمة ودعا كبراء الأندلس وايضا زعماء القبائل المغربية التى تدين بالطاعة ليوسف بن تاشفين.

كما قام يوسف بن تاشفين بأخذ البيعة لولده علي بقرطبة، فبايعه جميع أمراء لمتونة وشيوخ البلاد وفقهاؤها، وبالنسبة للأندلس وقد أوصي يوسف بن تاشفين ابنه علي[٢٥٧] بما يأتي:

ألا يعين في مناصب الحكم والقضاء في الولايات والحصون والمدن إلاالمرابطين من قبيلة لمتونة[٢٥٨].

أن يحتفظ في الأندلس بجيش دائم من المرابطين قوامه سبعة عشر ألف فارس يطعمون على حساب الدولة[٢٥٩] ويوزعون على أهم الولايات[٢٦٠].

أن يعهد الى مسلمي الأندلس بحراسة الحدود النصرانية ومحاربة النصارى، فهم أكثر خبرة ودراية على مقاتلة النصارى من المغاربة[٢٦١].

أن يتعامل مع اهل قرطبة المعروفين بالكبر وحب الشغب باللين والرفق[٢٦٢].

أن يوثق اواصر الصداقة مع بني هود أمراء سرقسطة، وهم طليعة الأندلسيين في محاربة النصارى(٢٦٣).

وبعد ان انتهى يوسف بن تاشفين من تنظيم شؤون الأندلس، قسمها الى ست ولايات، وهي: إشبيلية، غرناطة، قرطبة، بلنسية، سرقسطة، مرسية.

ثم عاد يوسف بن تاشفين الى المغرب وتوفي في بيته بمراكش يوم الإثنين محرم سنة ٥٠٠هـ/ سبتمبر ١١٠٦م وقد بلغ من العمر نحو مائة عام(٢٦٤)، بعد حياة طويلة وحكم حافل بجلال الأمور.

الخاتمة:

من استعراض ما سبق نجد أن ملوك الطوائف في الأندلس على الرغم من دفعهم الجزية للفونسو السادس إلا أنه لم يقتنع بذلك بل بدا بالاستيلاء على الحصون والمدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى مما دفع ملوك الطوائف إلى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين بسبب عجزهم على مقاومة الفونسو السادس الذي كاد يستولى على الأندلس كلها ويعيدها إلى المسيحية، وبتدخل المرابطين وضعوا حداً للتمدد المسيحي في الأندلس من خلال معركة الزلاقة التي انهزم فيها الفونسو السادس وخسر معظم قواته .

وهكذا مرت سياسة المرابطين في الأندلس بعدة مراحل.

١ـ مرحلة التدخل من أجل الجهاد وإنقاذ المسلمين وقد انتهت بانسحاب المرابطين بمجرد انتصار الزلاقة.

٢ـ مرحلة الحذر من موقف ملوك الطوائف، بعد أن ظل وضعهم وضع التنافر والتحاسد والتباعد، ولم يفكروا في الاندماج في دولة واحدة، بل فضل بعضهم التقرب الى الأعداء للكيد ببعضهم.

٣ـ مرحلة ضم الأندلس إلى المغرب – فوضعوا حدا لمهزلة ملوك الطوائف.

٤– حفظ المرابطين الإسلام والحضارة الإسلامية في الأندلس لفترة امتدت أربعة قرون أخرى.

الهوامش:

[١]) لمتونة : انهم من حمير نزلوا في الجاهلية بهذه البراري، وفي تلك الصحارى المتصلة باقليم السودان قبائل ينسبون الى حمير ويذكرون ان اجدادهم خرجوا من اليمن زمن الصديق، فاتوا مصر، ثم غزوا المغرب مع موسى بن نصير، ثم احبوا الصحراء وهم لمتونة، وجدالة، ولمطة وغيرها من القبائل.(الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ /١٣٤٧م) سير إعلام النبلاء، حققه وخرج احاديثه وعلق عليه شعيب الارنا ؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١٨، ص٤٢٦).

[٢]) صنهاجة : تنتسب الى صنهاج من والد عبد شمس ابن وائل بن حمير، وتنقسم صنهاجة الى سبعين قبيلة، منهم لمتونة، ومسوفة، وجدالة، ولمطة، وهم صحراويون.(ابن الخطيب، الوزير ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين ابن الخطيب(ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحتلام من ملوك الأسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١،سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص ٣٨٤).

[٣]) البربر : هو أسم يشتمل قبائل كثيرة في جبال المغرب، آولها برقة ثم الى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب الى بلاد السودان، وهم أمم وقبائل لا تحصى، يقال لمجموع بلادهم بلاد البربر، وقد اختلف في أصل نسبهم، فاكثر البربر تزعم أن اصلهم من العرب، هربوا الى المغرب وتحصنوا في جبالها، ومن أسماء قبائلهم التى سميت بهم الأماكن التى نزلوا بها وهي صنهاجة ، لمتونة ونفوسة وغيرها من القبائل.(ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، مج١، ص ٣٦٨).

[٤]) الأندلس : يقال بضم الدال وفتحها : والأندلس فهي جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص.(ياقوت، معجم البلدان، مج١ ص ٢٦٢).

٥) لم تؤثر قسوة الصحراء وخشونتها على احساس يوسف فقد كان مرهف الشعور يتعشق الجمال أينما وجد ويختار نساءه من الجميلات، وأولى زوجاته زينب النفزوية بعد ان طلقها ابن عمه ابو بكر بن عمر، وكانت زينب بنت اسحاق مشهورة بالجمال والرئاسة، بارعة الحسن، حازمة لبيبة ذات عقل رصين وراي سديد، ومعروفة بادارة الامور، فكانت القائمة بملك زوجها الامير يوسف والمدبرة لامره حتى وفاتها عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، وبعد وفاة زينب تزوج الامير يوسف من سيدة اندلسية تدعى قمر، ويقال هى التي انجبت الامير علي ولى العهد وامير الاندلس والمغرب بعده.، وتزوج يوسف بامراة تسمى عائشة، وانجبت له الامير محمد الذي ينسب اليها، فصار يدعى محمد بن عائشة.، ورزق يوسف مجموعة من الذكور والاناث بكرهم تميم الذى توفي غداة معركة الزلاقة وكان والياً على سبته، وعلي الذي تولى الامارة بعده، وأبراهيم ومحمد الذي كان أحد القادة البارزين في جيش والده، واما بناته فهما، كونة، ورقية (ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن بكر(ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الفكر، ودار صادر، بيروت،ط١، سنة ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م، مج ٧، ص١٢٥، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب المصرى القاهرة، دار الكتاب اللبنانى بيروت، ط١، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، مج١١، ص٣٧٦)، د سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى، ج٤، المرابطون، نشر دار المعارف با لاسكندرية، ط١، سنة ١٩٩٥م، ص ٢٥١، ٢٥٢).

٦) ابن أبى زرع، ابى الحسن علي بن عبدالله ابن ابى زرع الفاسي(ت٧٤١هـ /١٣٤٠م) الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،الناشر دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ط١، سنة ١٩٧٢م، ص ١٣٦).

٧) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني(ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، سنة ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، ج٨، ص ٣٥١، الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج١٩، ص ٢٥٣، ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي(ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه وعلق عليه محمد الأرنا ؤوط، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرنا ؤوط ، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط١، سنة ١٤١٠هـ /١٩٨٩م، ج٥، ص ٤٢٧، د الصلابي، علي محمد، فقه التمكين عند دولة المرابطين، دار البيارق للنشر، عمان، ط١، سنة ١٩٩٨م، ص ٧٨).

[٨]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٣٦، ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٣٨٨).

٩) با مخرمة، أبو الطيب عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد (ت٩٤٧هـ /١٥٤٠م) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دراسة وتحقيق عبد الرحمن محمد جيلان صغير، اصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، سنة ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م، مج٢، ص٢١١١)

[١٠]) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٩، ص ٢٥٢، ٢٥٣).

[١١]) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، مج٧ ، ص ١٢٤، ١٢٥).

[١٢]) بامخرمة ، قلادة النحر ، مج٢ ، ص٢١١١).

[١٣]) أبو بكر بن عمر اللمتوني : من رؤساء هذه الدولة في المغرب . استولى على سجلماسة وملك السوس باسره ثم امتلك بلاد المصامدة وفتح بلاد أغمات وبعد موت عبد الله بن ياسين اختار اشياخ صنهاجة أبو بكر بن عمر اميرا عليهم ، وبعد موارة عبد الله بن ياسين ، توجه الى أغمات وبلغه سنة ٤٥٢هـ وقوع فتن في الصحراء بين القبائل من قومه فرحل الى سلجماسة ودعاء ابن عمه يوسف بن تاشفين قائده على الجيوش وفوض اليه أمر المغرب سنة ٤٦٣هـ وذهب الى الصحراء فاصلح امر القوم ورجع الى المغرب فوجد يوسف قد خضعت له البلاد وضخم امره ، فاوصاه بالناس خيراً وقفل الى الصحراء ، فقتل شهيداً في حرب مع السودان سنة٤٨٠هـ.(خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥، سنة ٢٠٠٢م ، ج٢، ص٦٨).

[١٤]) ابن عذاري، ابي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي(ت ٧١٢هـ /١٣١٢م) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق، بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار المغرب الأسلامي، تونس، ط١، سنة ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م، مج ٣، ص ١٥، اليافعي، ابي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي(ت ٧٦٧هـ /١٣٠٨م)، مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م،ج٣، ص ١٢٦، با مخرمة، قلادة النحر، مج٢، ص ٢١١٠).

[١٥]) الواحات : واحدها واح، على غير قياس، لا اعرف معناها وما أظنها إلا قبطية، ومدينة الواح يقال لها سنترية، بالسين المهملة وبها قبائل من البربر من لواته وغيرهم ، وبعد ذلك بلاد خزان والسودان ، والله اعلم بما وراء ذلك.(ياقوت، معجم البلدان، مج٥، ص ٣٤١).

[١٦]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص ١٣٠، بامخرمة، قلادة النحر، مج٢، ص ٢١١٠).

١٧) سجلماسة : بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان.(ياقوت، معجم البلدان، مج٣، ص١٩٢).

[١٨]) اليافعي، مراة الجنان، ج٣، ص ١٢٦، بامخرمة، قلادة النحر، مج٢، ص ٢١١١).
[١٩]) السوس : بضم أوله، وسكون ثانيه، وسين مهملة اخرى، وقيل : السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة.(ياقوت، معجم البلدان، مج٣، ص٢٨١،٢٨٠).
٢٠) اغمات : ناحية في بلاد البربر من ارض المغرب قرب مراكش وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير.(ياقوت، معجم البلدان، مج١،ص٢٢٥).
٢١) الناصري، الشيخ ابو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت ١٣١٥هـ /١٨٩٧م، الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية والموحدية، الجزء الثاني، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، ج٢، ص٢٣).
٢٢) مؤلف مجهول(لمؤلف اندلسي من أهل القرن الثامن الهجري، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق، د/ سهيل زكار، عبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ص٢٣).
٢٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٩، ص ٢٥٢، ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص ٣٧٧).
٢٤) ابن عذاري، البيان المغرب، مج٣، ص١٧، مجهول، الحلل، ص ٢٤).
٢٥) أبن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٣٨، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٢٣).
[٢٦]) القادة هم : سير بن ابي بكر اللمتوني، محمد بن تميم الجدالي، عمر بن سليمان المسوقي، مدرك التلكاتي(، ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص ٣٨٨، الناصري، الأستقصا، ج٢،ص٢٣).
٢٧) أبن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٣٨).
[٢٨]) مراكش : بالفتح ثم التشديد، وضم الكاف، وشين معجمة : أعظم مدينة بالمغرب وأجلها، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان اول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة ٤٧٠هـ.(ياقوت، معجم البلدان، مج٥، ص ٩٤).
٢٩) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، قدم هذه الطبعة، د فوزى محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية، التنفيذ والطباعة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ٢٠٠٥م، ج٥، ص ١٨٩).
[٣٠]) ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص ٣٧٧، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص ٢١).
[٣١]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٣٨٧).
[٣٢]) أبن عذاري، البيان المغرب، مج ٣، ص ٢٠، مجهول، الحلل، ص٢٦،٢٥).
[٣٣]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٣٨٧).
[٣٤]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٢١).
[٣٥]) أبن عذاري، البيان المغرب، مج٣، ص ٢٠ ،٢١).
[٣٦]) مجهول، الحلل، ص ٢٦، ٢٧).
[٣٧]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٢٢، ٢٣).
[٣٨]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٣٨٨).
[٣٩]) زامباور، إدوارد فون، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ترجمة، د/ زكي محمود حسن، حسن احمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ١١٣).
[٤٠]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٣٨٨، ألناصري، الأستقصا، ج٢،ص٢٣،).
[٤١]) فاس : بالسين المهملة، : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين.(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص ٢٣٠).
[٤٢]) ابن ابي زرع، روض القرطاس،ص١٣٩، ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص ٣٧٩، ٣٨٠).
[٤٣]) طنجة : بالفتح ثم السكون، والجيم، وزيادة هاء : مدينة في الاقليم الرابع، بلدعلى ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء،وهو من البر الأعظم وبلاد البربر .(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص٤٣).
[٤٤]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤١، ابن الخطيب، اعمال الأعلام،ج٢، ص ٣٨٩).
[٤٥]) مجهول، الحلل، ص ٣١).
[٤٦]) كانت مدينة فاس تتألف من عدوتين، عدوة الأندلسيين تأسست عام ١٩٢هـ وعدوة القرويين عام ١٩٣هـ،(ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤١، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٢٩).
[٤٧]) ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص ٣٨٠).
[٤٨]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤١).
[٤٩]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٢٩).

[٥٠] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٢).
[٥١] نفس المصدر، ص١٤٢).
[٥٢] سبتة : بفتح أوله : هي بلد مشهور من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس .(ياقوت، معجم البلدان، مج٣، ص ١٨٣،١٨٢).
[٥٣] ولى ابنه تميم بن يوسف على مدينة مراكش واغمات، وسير بن ابي بكر على مكناسة، وعمر بن سليمان على فاس، وداوُد بن عائشة على سجلماسة.(ابن ابي زرع، روض القرطاس، ١٤٢).
[٥٤] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٤٢، ١٤٣،الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣١).
[٥٥] تلمسان : بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، با لمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، احداهما قديمة والأخرى حديثة .(ياقوت، معجم البلدان،مج٢، ص ٤٤).
[٥٦] ابن عذاري، البيان المغرب، مج٣، ص ٢٣، ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص٣٨١،).
[٥٧] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٣).
[٥٨] ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص ٣٨٢).
[٥٩] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٤٤).
[٦٠] الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣٠).
[٦١] ابن ابي زرع ، روض القرطاس، ص١٤٤)،
[٦٢] الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٥٣).
[٦٣] ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٣٧).
[٦٤] (المراكشي ، لأبي محمد، عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرحه واعتنى به د/ صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ص٩٩).
[٦٥] الناصري، الاستقصا، ج٢، ص ٣٣).
[٦٦] طليطلة : هكذا ضبطه الحميدى بضم الطاءين وفتح اللامين : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص ٣٩، ٤٠).
[٦٧] ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص ٣٨٢، الناصري، الأستقصا، ج٢،ص٣٣).
[٦٨] وصل التخاذل بملوك الطوائف إلى حد إرسال الرسل لتهنئة الفونسو على أخذ طليطلة حتى أن ابن رزين حسام الدولة صاحب شنتمرية ذهب بنفسه لتهنئته يحمل إليه الهدايا النفيسة، فجازاه بأن أعطاه قرداً احتقاراً له، بينما اعتبر رزين ذلك مفخرة، ابن الكردبوس،ص٢٨٨).
[٦٩] بطليوس : بفتحتين، وسكون اللام، وياء مضمومة وسين مهملة : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة.(ياقوت، معجم البلدان، مج١، ص ٤٤٧).
[٧٠] ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص٣٨٢).
[٧١] ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٢٢١، الناصري، الأستقصا،ج٢، ص٣٧).
[٧٢] إشبيلية : بالكسر ثم السكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، ولام، وياء خفيفة : مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم اعظم منها.(ياقوت، معجم البلدان، مج١،ص١٩٥).
[٧٣] ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص١٤٥).
[٧٤] قرطبة : بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة ايضا والباء الموحدة،كلمة فيما أحسب عجمية رومية. وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها.(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص ٣٢٤).
[٧٥] ،ابن الخطيب، اعمال الأعلام،ج٢، ص ٢٢١).
٧٦) الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري(ت ٨٦٦هـ /١٤٦١م،الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق، احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٤م، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت، ص٢٨٨، الناصري، الأستقصا، ج٢،ص٣٧)
[٧٧] الزهراء : مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس اختطها عبد الرحمن الناصر(ياقوت، معجم البلدان، مج٣، ص١٦١).
[٧٨] مجهول، الحلل، ص٤٢، الناصري، الأستقصا، ج٢، ٣٧).
٧٩)ابن الخطيب، اعمال الأعلام،ج٢، ص٢٢١).
٨٠) الناصري، الأستقصا، ج٢،ص٣٧).
٨١) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٨، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٨).
[٨٢] باجة : مدينة بالأندلس اشتهرت بكثرة العلماء.(ياقوت، معجم البلدان، مج١،ص ٣١٥، ٣١٦).

[٨٣]) مجهول، الحلل، ص٤٢، الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٨).
٨٤) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٣).
٨٥) يبدو أن أحد المسلمين الضالعين باللغة العربية كتبه له.(مجهول، الحلل، ص٤٢، ٤٣).
[٨٦]) مجهول ، الحلل، ص٤٢، ٤٣).
[٨٧]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٣٨٩).
[٨٨]) مجهول، الحلل، ص٤٣).
[٨٩]) ابي الطيب المتنبي، ديوانه، ط١، بيروت، سنة ١٩٢٦م، ص٢٥٠).
[٩٠]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٨).
[٩١]) سرقسطة : بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة، وسين مهملة ساكنة، وطاء مهملة : بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطلية، ذات فواكه عذبة (ياقوت، معجم البلدان، مج٣، ص٢١٢).
[٩٢]) بلنسية : السين مهملة مكسورة، وياء خفيفة : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات اشجار وانهار.(ياقوت، معجم البلدان، مج١، ص ٤٩٠).
[٩٣]) ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص٣٨٢).
[٩٤]) المرية : بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها : وهي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس.(ياقوت، معجم البلدان، مجلد٥، ص ١١٩).
[٩٥]) قشتالة : اقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الأفرنج.(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص٣٥٢).
[٩٦]) غرناطة : بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس، وهي اقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس واعظمها.(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص ١٩٥).
[٩٧]) ابن خلدون ، تاريخ ، مج١١، ص٣٨٤).
[٩٨]) ابن الأثير، الكامل، ج٨،ص٣٠٧، ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص٣٨٢).
[٩٩]) الناصري، الأستقصا، ج٢،ص٤٠).
[١٠٠]) ابن خلكان، وفيات الأعيان،مج٧ ، ص١١٤).
[١٠١]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٤).
[١٠٢]) مجهول، الحلل، ص٤٤).
[١٠٣]) نفس المصدر، ص٤٤).
[١٠٤]) نفس المصدر، ص ٤٤).
[١٠٥]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام،ج٢، ص ٢٢٢).
[١٠٦]) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٨، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٨).
[١٠٧]) مالقة : بفتح اللام والقاف، كلمة عجمية : مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية.(ياقوت، معجم البلدان، مج٥، ص ٤٣).
[١٠٨]) مجهول، الحلل، ص٤٤).
[١٠٩]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام،ج٢، ص٢٢٢،).
[١١٠] (ابن خلكان، وفيات الاعيان، مج٧، ص ١١٥).
[١١١]) ابن الأثير، الكامل،ج٨، ص٣٠٧،الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٩).
[١١٢]) تشكلت البعثة من القضاة، ابن أدهم قاضي قرطبة وابن مقانا قاضي بطليوس وابن القليعي قاضي غرناطة،واضاف ابن عباد وزيره ابا بكر بن زيدون.(المقري، الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني(ت١٠٤١هـ /١٦٣١م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، سنة ١٣٨٨هـ م ١٩٦٨م، مج٤، ص٣٥٩، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٩).
[١١٣]) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٨).
[١١٤]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام،ج٢، ص٢٢٢).
[١١٥]) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٩).
[١١٦]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٩).
[١١٧]) مجهول، الحلل، ص٤٨).
[١١٨]) نفس المصدر، ص٤٩،).

[١١٩]) الجزيرة الخضراء : مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، واعمالها متصلة بأعمال شذونة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة.(ياقوت، معجم البلدان، مج٢، ص ١٣٦).
[١٢٠]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٢٢٢).
[١٢١]) نفس المصدر، ج٢، ص٢٢٢).
[١٢٢]) مجهول ، الحلل، ص٥٠).
[١٢٣]) نفس المصدر، ص٥١).
[١٢٤]) نفس المصدر، ص٥١).
[١٢٥]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٢٢٣، ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص٣٨٢، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٤). يذكر الأمير عبد الله صاحب غرناطة في مذكراته، أن المعتمد تلكأ في تسليم الجزيرة وأمسك رسل يوسف بن تاشفين مدة منهم القاضي عبد الملك المصمودي وابن الأحسن، ثم أطلق سراحهم وأرسلهم مع شيوخ إشبيلية ليطلبوا من يوسف التريث مدة ٣٠ يوماً لاخلائها، فما كان من يوسف إلا أن هاجم الجزيرة واستولى عليها عنوة بقيادة دأود بن عائشة(مذكرات الأمير عبد الله، اخر ملوك بنى زيري بغرناطة (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م، المسماة بكتاب التبيان، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٥٥م، ص ١٠٢، ١٠٣).
[١٢٦]) المراكشي، المعجب، ص٩٨).
[١٢٧]) ابن الأثير، الكامل، مج٨، ص٣٠٧، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٥).
[١٢٨]) الزاب : كورة صغيرة يقال لها ريغ، كلمة بربرية معناها السبخة، والزاب : ايضاً كورة عظيمة ونهر جرار بارض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة(ياقوت، معجم البلدان، مج٣،ص١٢٤).
[١٢٩]) المراكشي، المعجب، ص٩٨).
[١٣٠]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٥).
[١٣١]) نفس المصدر، ص١٤٤).
[١٣٢]) الناصري، الأستقصا،ج٢،ص٤١).
[١٣٣]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧،ص١١٦ ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص٣٨٢). كان الأمير يوسف يهدف من عبور الجمال استخدامها في القتال، وقد جعلها فيما بعد في مقدمة الجيش(أثنا معركة الزلاقة) لحماية الجنود من سهام الأعداء فهي بمثابة الدروع في وقتنا الحاضر).
[١٣٤]) ابي الفداء،عماد الدين إسماعيل ابو الفداء(ت٧٣٢هـ /١٣٣١م) المختصر في اخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمود دياب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، سنة ١٤١٧هـ /١٩٩٧م،ج٢، ص١١).
[١٣٥]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٤٥، الناصري، الأستقصا، ج٢ ص٣٤). وقد ورد الدعاء بصيغة المفرد، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٤٥).
[١٣٦]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٤٥).
[١٣٧]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٣٤).
[١٣٨]) مجهول، الحلل،ص٥١).
[١٣٩]) نفس المصدر، ص٥١).
[١٤٠]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤١).
[١٤١]) ابن خلدون، تاريخ، مج١١، ص٣٨٢).
[١٤٢]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤١، ٤٢).
[١٤٣]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٧).
[١٤٤]) مجهول، الحلل، ص٥٢).
[١٤٥]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٢).
[١٤٦]) المراكشي،المعجب، ص٩٨).
[١٤٧]) مجهول، الحلل، ص٥٢).
[١٤٨]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٣).
[١٤٩]) مجهول، الحلل، ص٥٢).
[١٥٠]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٣).
[١٥١]) الزلاقة : بفتح أوله، وتشديد ثانيه، والزلاقة : ارض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في ايام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع الأذفنش ملك الأفرنج مشهورة.(ياقوت، معجم البلدان، مج٣، ص ١٤٦).
[١٥٢]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٦).

[١٥٣]) مجهول، الحلل، ص٥٩).
[١٥٤]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٤).
[١٥٥]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٦).
[١٥٦]) المراكشي، المعجب، ص٩٩).
[١٥٧]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٥).
[١٥٨]) مجهول، الحلل، ص ٦٠).
[١٥٩]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٥، ١٤٦).
[١٦٠]) طرطوشة :بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة، وواو ساكنة، وشين معجمة : مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرق بلنسية.(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص ٣٠).
[١٦١]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٦).
[١٦٢]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٢).
[١٦٣])المراكشي، المعجب، ص٩٩).
[١٦٤]) برجونية : بالفتح، والواو ساكنة، ونون مكسورة، ويا خفيفة، وهاء : مدينة بالأندلس من أعمال البيرة(ياقوت، معجم البلدان، مج ١، ص ٣٧٤).
[١٦٥]) بروفانس : بالفتح ثم الكسر : مدينة في شرقي الأندلس معدودة في أعمال تطيلة (ياقوت، معجم البلدان، مج١، ص٤٧٣).
[١٦٦]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٦).
[١٦٧]) مجهول، الحلل، ص٥٩).
[١٦٨]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٧).
[١٦٩]) مجهول، الحلل، ص٦٢).
[١٧٠]) نفس المصدر، ص٦٢).
[١٧١]) المقري، نفح الطيب، مج٤، ص٣٦٣).
[١٧٢]) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٩).
[١٧٣]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٢، ٤٣).
[١٧٤]) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٩).
[١٧٥]) الناصري، الأستقصا،ج٢، ص٤٢).
[١٧٦]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٦).
[١٧٧]) المراكشي، المعجب، ص١٠٠، الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٩).
[١٧٨]) لقد كان الجيش الأندلسي قليلاً لا يتجاوز عدة آلاف ، مجهول ، الحلل ص ٥٦).
[١٧٩]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١١٦، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤١).
[١٨٠]) مجهول، الحلل، ص٥٣).
[١٨١]) القرآن الكريم، سورة غافر، الآية ٥٠).
[١٨٢]) مجهول، الحلل، ص٥٣).
[١٨٣]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٦).
[١٨٤]) المراكشي، المعجب، ص١٠٠ ، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص ٤٥).
[١٨٥]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٠).
[١٨٦]) ١ مجهول، الحلل، ص٥٧).
[١٨٧]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٩).
[١٨٨]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٤).
[١٨٩])الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٠).
[١٩٠]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٧).
[١٩١]) الحميري، الروض المعطار، ص٢٩١).
[١٩٢]) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٩،الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٥، ٤٦).
[١٩٣]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧،ص١١٨،).
[١٩٤]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٧).
[١٩٥]) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان،مج٧، ص١١٨).

[١٩٦]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٧، ١٤٨).
[١٩٧]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص ١١٦).
[١٩٨]) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٩).
[١٩٩]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٨).
[٢٠٠]) نفس المصدر، ص١٤٨).
[٢٠١]) نفس المصدر، ١٤٨).
[٢٠٢]) المراكشي، المعجب، ص ١٠٠ الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٠).
[٢٠٣]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١١٨).
[٢٠٤]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٧،).
[٢٠٥]) مجهول، الحلل، ص٦١).
[٢٠٦]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١١٨).
[٢٠٧]) الحميري، الروض المعطار، ص٢٩١، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص ٤٦).
[٢٠٨]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١١٨،ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٨).
[٢٠٩]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٨).
[٢١٠]) ، مجهول، الحلل، ص ٦١، الحميري، الروض المعطار، ص٢٩١).
[٢١١]) قورية : بالضم ثم السكون، مدينة من نواحي ماردة بالأندلس.(ياقوت، معجم البلدان، مج٤، ص ٤١٢).
[٢١٢]) ابن الأثير،الكامل، ج٨، ص٣٠٩).
[٢١٣]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١٢٢، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٩).
[٢١٤]) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٩).
[٢١٥]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧،ص١١٨).
[٢١٦]) الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٨).
[٢١٧]) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٣٠٩).
[٢١٨]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١١٧، الناصري، الأستقصا، ج٢، ص٤٩).
[٢١٩]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٩، زمباور، معجم الأسرات، ص ١١٣).
[٢٢٠]) مجهول، الحلل، ص ٦٣).
[٢٢١]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٤٩).
[٢٢٢]) مجهول، الحلل، ص٦٦).
[٢٢٣])هو حصن حصين على راس جبل شاهق، بينه وبين لورقة نصف يوم، يملكه العدو وكانت سراياه تغيير شرقا وغربا اذ كان في موسطة بلاد المسلمين(مجهول، الحلل، ص٦٧).
[٢٢٤]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٢).
[٢٢٥]) مجهول، الحلل، ص ٦٧، ٦٨).
[٢٢٦]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٢).
[٢٢٧]) مجهول، الحلل، ص٦٨).
[٢٢٨]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣).
[٢٢٩]) مجهول ، الحلل، ص٦٩).
[٢٣٠]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣).
[٢٣١]) مجهول، الحلل، ص٦٩).
[٢٣٢]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣).
[٢٣٣]) مجهول، الحلل، ص٧٠).
[٢٣٤]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣).
[٢٣٥]) ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ج٢، ص٢٢٢).
[٢٣٦]) مجهول، الحلل، ص ٧٠).
[٢٣٧]) ، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣).
[٢٣٨]) نفس المصدر، ص١٥٣).

[٢٣٩]) امير غرناطة هو عبد الله بن بلكين بن باديس وكان يتهم بالتحالف سرا مع الفونسو السادس، وارسل بعد فتح غرناطة اسير الى اغمات بالقرب من مراكش، كما القى القبض على اخيه تميم بن بلكين والي مالقة وبعث به الى المغرب في سجن اغمات(ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣، مجهول، الحلل، ص٧١).
[٢٤٠]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣).
[٢٤١]) مجهول، الحلل، ص ٧١، ٧٢).
[٢٤٢]) نفس المصدر، ص٧٢).
[٢٤٣]) نفس المصدر، ص ٧٢، ٧٣).
[٢٤٤]) نفس المصدر، ص٧٣).
[٢٤٥]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٥).
[٢٤٦]) نفس المصدر، ص١٥٤).
[٢٤٧]) نفس المصدر، ص١٥٥).
[٢٤٨]) نفس المصدر، ص١٥٥).
[٢٤٩]) كانت خاتمة ابن عباد ماساة اليمة، وكانت عبرة لتقلب الدهر، ذلك ان الرجل الذي لبث زها ربع قرن يقبض بيديه على مصاير الأندلس، والذي كان يحكم سواد النصف الجنوبي لشبه الجزيرة، والذي يرجع اليه سبب استيلاء الفونسو السادس على طليطلة، والذي استدعى المرابطين الى الأندلس، اختتم حياته الباهرة في غمرة البؤس والحزن في ظلام السجن، حيث انه قبض عليه وعلى نسائه وابنائه وبناته وارسلوا الى المغرب وبقى في سجن اغمات حتى توفى١١شوال سنة ٤٨٨هـ / اواخر اكتوبر١٠٩٥م وهذه القسوة التي اظهرها يوسف بن تاشفين نحو المعتمد بن عباد ونحو باقي امراء الأندلس، جعلت بعض المؤرخين يضعون سحابة على سيرته، لم تمحها الاعذار التي انتحلها اخرون لتبرير عمله مع ملوك الطوائف في الأندلس(ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٥).
[٢٥٠]) الولايات التي تم فتحها هي : غرناطة، ومالقة، وجيان، وقرطبة، واشبيلية، والمرية،وكذلك، بلنسية، وشنتريه، وبيطليوس، كما افتتحت سفن المرابطين جزر البليار التى كانت تحت رحمة الاسطول النصراني(ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦).
[٢٥١]) مجهول، الحلل، ص٧٣).
[٢٥٢]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٤، ١٥٥، ١٥٦).
[٢٥٣]) لقد استرد المرابطين هذه المدينة سنة ٤٩٥هـ /١١٠٢م).
[٢٥٤]) كما نجد ان قشتالة لم تشترك في الحروب الصليبية في الشرق المسلم ففي هذه الأثناء سقطت بيت المقدس بيد الصليبين وسبب عدم هذا الأشتراك انشغال قشتالة بحروب صليبية في الأندلس المسلمة).
[٢٥٥]) ابن الابار، محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الابار(ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) الحلة السيراء، حققه وعلق على حواشيه، د/ حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٥م، ج٢، ص١٢٦).
[٢٥٦]) مجهول، الحلل، ص ٧٧).
[٢٥٧]) ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص١٥٦).
[٢٥٨]) ولكنه استوزر شخصيات اندلسية، واشركها في الحكومة، وهذا العمل يهدف الأسترشاد بارا، وخبرة الشخصيات الأندلسية والقضاء على فكرة العنصرية. والا فان المرابطين لم يكونوا عاجزين عن اتخاذ وزراء منهم فقط. فمناصب الحكام والقضاة من المرابطين، ووزراء وموظفين كبار من الأندلسيين).
[٢٥٩]) مجهول، الحلل، ص٨٠).
[٢٦٠]) وزع الجنود بين الولايات كالتالي : اربعة الأف في والأية سرقسطة، سبعة الاف في اشبيلية، ثلاثة الاف في غرناطة، والف في قرطبة، والباقي وقدره الفان يحتلون القلاع و الحصون كحماية (مجهول، الحلل، ص٨٠).
[٢٦١]) مجهول، الحلل، ص٨٢).
[٢٦٢]) نفس المصدر، ص٨٣).
[٢٦٣]) نفس المصدر، ص٨٣).
[٢٦٤]) ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف(ت ٨٧٤ هـ /١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، ط٢، سنة ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م، ج٥، ص١٩٥).

Abstract:

The Almoravid Empire was established in morocco. He could also .build an army that was abletodefeat other powerful armies
On the other side of the ocean , in the land of al-aladalus , rulers of taifa Muslim kingdoms were im war and impose on them the system of parias . This in turn pushed the rulers of the taifa Muslim kingdoms to appeal for the assistance of Yusuf ibn .tashfin
Yusuf ibn tashfin agreed to help them and the almoravid army crossed the ocean to al-andalus and the army of alfonso vi was defeated in the battle of sag rajas. The joy of victory prevailed in al-andalus and morocco. Yusuf ibn tashfin returned to morocco but he had to rush back to al-andalus due to the Christian attacks on the cities of al-andalus and the strife amongst rulers of taifa Muslim kingdoms then he went back to morocco and built an to annex al-andalus to almoravid empire . following his fourth and fine crossing to al-andalus . he began al-andalus affairs and divided the army among the cities later , he recognized his son all .as his heir and went back to Marrakesh where he died
How was he able to unite morocco and turn it into a powerful empire with a powerful army having its strong military doctrine ? what are the motives for his annesation of al-andalus of al-andalus to the almoravid empire in morocco ? how did he bring back the Muslim presence and stop the Christian expansion in al-andalus ? all these questions and many others will be addressed . in the lollowing survey of Yusuf ibn tashfins lite until death